

جائحة كورونا في تونس: التمثّلات الاجتماعية والتداوي بالغذاء سكان الأرياف أنموذجا

The Coronavirus pandemic "COVID-19" in Tunisia: Social representations and food therapy The inhabitants of the countryside as a case study

عبد الكريم براهمي*، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس،

abdelkarimbrahmi994@yahoo.com

تاريخ النشر: 2021/12/10

تاريخ القبول: 2021/09/24

تاريخ الإرسال: 2021/09/04

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في التمثّلات الاجتماعية لسكان الأرياف حول جائحة كورونا، والتداوي بالغذاء. واتبعتنا في إنجازها منبرج "الوصف المكثّف" والمقاربة التأويلية، واعتمدنا العمل الميداني القائم على المقابلات مع المستجوبين والملاحظة المباشرة. وتضمّنت إلى جانب توضيح بعض المفاهيم الأساسية، عنصران، تعلق الأول بتمثّلات سكان الأرياف التونسية لجائحة كورونا، التي يُعدّونها ابتلاء من الله، ما يفسّر لا مبالاهم بفيروس كوفيد-19. أمّا الثاني فاهتمّ بدور الغذاء في التوقّي من الفيروس والشّفاء منه في حالة الإصابة به. وتؤكّد النتائج التي توصلنا إليها اعتقاد أغلب سكان الأرياف في أنّ الجائحة ابتلاء من الله، واقتناعهم بالدور الفعّال للأغذية التقليدية في وقايتهم من الفيروس وفي الشّفاء منه.

الكلمات المفتاحية: جائحة كورونا، التمثّلات الاجتماعية، سكان الأرياف، تونس، الغذاء التقليدي.

Abstract:

This research explores the social representations of the Coronavirus pandemic among countryside dwellers and food therapy. To carry out this study, we opt for the "thick description" method and the interpretative approach. We also rely on fieldwork based on interviews and direct observation. This research contains, besides the explanation of certain concepts, two elements. The first concerns the representations of the Tunisian countryside dwellers of the Corona pandemic, which they consider as an affliction of God, reflecting their

* المؤلف المرسل.

contempt and indifference towards the Covid-19 virus. The second reveals the role of food in preventing and curing the virus. Our findings confirm the belief of most rural people that the pandemic is an affliction of God and their belief that traditional foods are so effective in preventing and curing the virus.

key words: Corona-virus pandemic, Social representations, countryside dwellers, Tunisia, traditional food.

مقدمة:

عند انتشار نبأ تفشّي جائحة كورونا في تونس وتحديدا أثناء الموجة الأولى التي امتدّت من شهري مارس إلى سبتمبر من سنة 2020، احتمت المجتمعات الريفيّة بذاكرتها التاريخيّة في مقاومة الأوبئة، باعتماد الغذاء اليوميّ، للتّصدي للفيروس المستجدّ، لأنّها مجتمعات تعيش التّهميش والإقصاء وتفتقر إلى تدخّل الدولة والخدمات الطّبيّة، تعاضم رهاهم على غذائهم وثقتهم فيه للتّغلب على فيروس كورونا المستجدّ كونه فيروسا مجهولا لا دواء له، فهم يعتمدون في مقاومة الأمراض والفيروسات المعروفة على الغذاء بديلا للدواء، فما بالك في مقاومة جائحة ما زالت أوبئها غير معروفة. فإيمانهم بفاعليّة غذائهم في الشّفاء من الأمراض أقوى من إيمانهم بفاعليّة الدّواء.

- أهداف البحث

يهدف البحث في التّمثّلات الاجتماعيّة إلى التّعريف على تصوّرات سكّان الأرياف واعتقاداتهم ورؤيتهم للجائحة، وتبيان كيفيّة تعاملهم معها، ما يمكننا من رصد جانب من ذهنيّة هؤلاء السكّان وعمليّتهم، ما يُساهم في تعميق فهم المجتمع. ومن ثمة التّطرّق إلى دور الأغذية اليوميّة التّقليديّة في الوقاية من الإصابة بفيروس كورونا المستجدّ، وللشّفاء منه في حالة الإصابة به.

- مشكلة البحث

ارتأينا الاشتغال في هذه البحث على التّمثّلات الاجتماعيّة لسكّان الأرياف التّونسيّة حول فيروس كورونا المستجدّ والتّداوي بالغذاء، وتحديدا أثناء الموجة الأولى من انتشار الفيروس التي امتدّت من مارس إلى سبتمبر 2020، حتّى نتمكّن من الإحاطة بالبحث من جوانبه المختلفة. وفرّعناه إلى مبحثين: يتعلّق الأوّل بتمثّلات سكّان الأرياف التّونسيّة لجائحة كورونا، وفيه تحليل لتصوّراتهم واعتقاداتهم حول فيروس كورونا المستجدّ وكيفيّة تعاطيهم مع إجراءات التّباعّد الاجتماعيّ المفروضة من قبل السّلطة. أمّا المبحث

الثاني فمداره أهمية صنوف من الغذاء لدى سكان الأرياف في التداوي والتوقي من الفيروس، ولذلك يسعى هذا البحث للإجابة عن الأسئلة التالية:

- ماهي تمثلات سكان الأرياف التونسية حول جائحة كورونا أثناء الموجة الأولى التي امتدت من شهر مارس إلى شهر سبتمبر من سنة 2020؟
- فيم تتمثل الأغذية التي يُقبل على استهلاكها سكان الأرياف التونسية للتوقي من فيروس كورونا المستجد، وللشفاء منه في حالة إصابتهم به؟

- أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في كونه يهتم بموضوع هام وهو جائحة كورونا التي تعدّ أهم أزمة عرفها العالم في القرن الواحد والعشرين، ما جعلها مدار اهتمام عالمي، إذ تصدرت الأخبار في مختلف وسائل الاعلام وفي وسائل التواصل الاجتماعي. إضافة إلى أنّ البحث في الجوانح ومختلف الكوارث الطبيعية الأخرى يُعدّ مجالاً خصبا لدراسة التمثلات الذهنية للمجتمعات، التي تُعدّ مدخلا أساسيا لفهم المجتمع، فهي تمكّن من الوقوف على التصورات والمواقف، وردود الفعل التي تظهر إبان الجوائح والمحن الطبيعية عامة. وتباين تمثلات الشعب التونسي لجائحة كورونا حسب معايير عديدة منها الفئات الاجتماعية، والعمرية، والجنس، ومنها الاوساط الريفية والحضرية. وعليه، فإنّ تمثّل الخطر الصحي الذي يمكن أن ينجّر عن فيروس كورونا المستجدّ يختلف من فئة إلى أخرى. لأنّ المخاطر ليست معطى جاهزا بل هي بناءات اجتماعية محكومة بعوامل اقتصادية وثقافية. واختلاف تمثلات الفئات الاجتماعية لخطر جائحة كورونا يؤدي ضرورة إلى اختلاف المواقف من طرق التوقي منها ومعالجة الإصابات، ومن الإجراءات المفروضة من قبل السلطة في تونس. ويكتسب هذا البحث أهميته كذلك من كونه من البحوث القليلة التي اهتمت بالتمثلات الاجتماعية حول جائحة كورونا التي هزت العالم وشملت تداعياتها جميع جوانب الحياة، وربطها بين فيروس كورونا والغذاء اليومي من أجل الوقاية منه أو العلاج عند الإصابة به.

- فرضيات البحث

يفترض هذا البحث أنّ لتمثلات سكان الأرياف التونسية حول جائحة كورونا، وتحديدًا في موجتها الأولى، التي امتدت بين شهري مارس وسبتمبر من 2020، دورا كبيرا في فهمهم لفيروس كورونا المستجدّ، ما يحدّد كيفية تعاملهم معه، وبما أنّهم يتصوّرون أنّ انتشار الجائحة هي ابتلاء من الله ليتمتحن صبرهم واستعدادهم للرجوع إليه والتضرّع له ليرفع عنهم الجائحة ويحفظهم من تأثيراتها، فإنّ أغلبهم تعامل معها باستخفاف ولا مبالاة، تمثّلت ملامحها في عدم الاستجابة لتوصيات السلطة واللجان العلمية بضرورة

التباعد الاجتماعي، والاقبال على وضع الكمّات، واستعمال المعقّمات، وغسل اليدين بالماء والصابون. وفي المقابل قنعة غالبة سگان الأرياف التونسية بالدور الفعّال لغذائهم اليومي التقليدي في الوقاية من الإصابة بفيروس كورونا المستجدّ والشّفاء منه في حالة الإصابة به، إذ، تتمثّل الفرضيات الاجرائية في: وجود تشابه في تمثّلات سگان الأرياف التونسية من جائحة كورونا في اعتبارها ابتلاء من الله، وعليه فإنّ الحرص المتزايد لتجنّب الإصابة بالفيروس لا يعني الكثير بالنسبة إليهم. ما يفسّر استخفافهم بها ولا مبالاهم.

- اقتناع أغلب سگان الأرياف التونسية بالدور الهام للأغذية التقليدية في الوقاية من فيروس كورونا المستجدّ وفي الشّفاء منه.

- منهج البحث

ولإنجاز هذا العمل تخيّرنا منهج "الوصف المكثّف" والمقاربة التأويلية، واعتمدنا العمل الميداني القائم على المقابلات مع عديد المستجوبين والملاحظات المباشرة، ما مكّننا من تجميع معطيات إضافية وتفاصيل على صلة وثيقة ببحثنا. ويهدف "الوصف المكثّف" (Geertz, 1998) إلى التعرّف على تمثّلات سگان الأرياف التونسية لجائحة كورونا وطرائق معاشتها والتعامل معها، حتّى نتمكّن من رؤية ما يرون، والاعتقاد في ما يعتقدون والإحساس بما يحسّون والتفكير في ما يفكّرون فيه (Geertz, 1998). ما يمكننا من فهم الواقع الاجتماعي. أمّا المقاربة التأويلية فتهدف إلى فهم مضامين ثقافية لتمثّلات شعبية قصد الإحاطة بمعانيها وفكّ رموزها (Geertz, Savoir local, savoir global : Les lieux du savoir, 2002, p. 24). وفي هذا السياق يؤكّد كليفورد غيرتز Geertz, C. أنّ الإثنوغرافي الذي يقوم بتجميع بيانات أيّ ثقافة كانت وتبويبها، سينخرط لا محالة في عملية "وصف مكثّف". وبما أنّ ثقافة المجموعات البشرية تتكوّن من أنساق من الدلالات ينتجها الفاعلون، فإنّ تحليل الإثنوغرافي ليس بالعلم التجريبي، وإنما هو فعل تأويلي، ما يجعله ملائما لخصوصية الظاهرة الانسانية وخصوصية البحث العلمي المرتبط بها (حنين، 2020، صفحة 13).

1. توضيح المفاهيم:

1.1. التّمثيلات الاجتماعية:

التّمثيلات الاجتماعية هي شكل من أشكال المعرفة الخاصة بالمجتمع تتضمّن نظام تصوّر للقيم والممارسات تتكوّن بفضل التربية والتنشئة الاجتماعية، وتجارب الأفراد في الحياة، ونتيجة تفاعلات العلاقات الاجتماعية، وتكشف ردود أفعال الأفراد ومواقفهم من مواضيع أو قضايا أو ظواهر معينة.

وينتمي مصطلح التمثيلات الاجتماعية إلى حقل علم النفس الاجتماعي. ويُعدّ عالم الاجتماع الفرنسي ديركهايم Emile Durkheim (1858-1917) أول من استعمل مصطلح التمثيلات، وكان يطلق عليها التمثيلات الجمعية les représentations collectives وليست الاجتماعية. بيد أنّ الاهتمام بموضوع التمثيلات شهد ركودا في العقود التي تلت بحوث ديركهايم، قبل أن يصبح مصطلحا محوريا في علم النفس الاجتماعي في بحوث عالم النفس الاجتماعي سارج موسكوفيتشي Serge Moscovici بفضل دراسة حول تمثيلات التحليل النفسي تعود إلى 1961. ويعتبر موسكوفيتشي التمثيلات الاجتماعية صورا مشبعة بجملة من المعاني والأنساق المرجعية التي تمكّن من معرفة ما يحدث في مختلف مناحي حياتنا اليومية وتفسيرها وتحليلها، لاستيعاب الواقع وفهمه وإعطائه دلالة معينة. ساهمت أعمال موسكوفيتشي في تطوّر نظرية التمثيلات الاجتماعية (Bergamaschi, 2011, p. 96)، وفي رواجها لدى عديد الباحثين في مجال علم النفس الاجتماعي الذين اهتموا بدراسة سلوك الأفراد ومواقفهم من مختلف المواضيع والقضايا والظواهر. وتتسم التمثيلات الاجتماعية بتغيّرها وتنوعها واختلاف معانيها ومضامينها باختلاف اللّغة والسّياق الثقافي والايديولوجي.

وبعد موسكوفيتشي اهتم الكثير من الباحثين في عديد التخصصات الانسانية بمصطلح التمثيلات الاجتماعية، ما أدى إلى تعقده، وتباين مفهومه واختلافه، ونذكر منها على سبيل المثال المفهوم الذي تقدّمه جودلات دونيز Denise Jodelet الذي يجعل من التمثيلات الاجتماعية معرفة ينتجها المجتمع، وتساهم في بناء واقع مشترك لأفراد مجتمع ما. وهي جملة من الإدراكات تتضمن الكثير من المعطيات والمعارف والايديولوجيات والمعتقدات والمعايير والقيم والمواقف والتصورات والآراء المختلفة والمتعدّدة (Jodelet, 1989, p. 53). والمفهوم الذي يقترحه أبريك Abric الذي يرى أنّ التمثيلات الاجتماعية هي مجموعة منظّمة من المعارف والمعلومات والمواقف والتصورات حول موضوع ينتجه المجتمع، وتتضمن مختلف قيم النظام الاجتماعي والايديولوجي وتاريخ الجماعة التي تتبناها وتعدّها جزءا رئيسا من رؤيتها للعالم (Abric, 2005, p. 59).

ويرتبط فعل التمثيل بالأشخاص أو الأشياء أو الظواهر، ويُعدّ طريقة لمعرفة الحقيقة. وتُعرّف التمثيلات الاجتماعية بمحتواها المتمثّل في نوع من المعرفة الساذجة أو البسيطة واليومية لجماعة ما، وتضمّ العادات والتقاليد والقيم والتصورات والمواقف والأخلاق التي تختلف بين فئات المجتمع الواحد، باختلاف المستوى الفكري للأفراد وانتمائهم الايديولوجي، ومدى مسابرتهم واندماجهم في النسق الثقافي والاجتماعي الذي ينتمون إليه. فتختلف بذلك المعارف التي تنتجها التمثيلات الاجتماعية عن المعارف العلمية.

وتهتمّ دراستنا بالتمثيلات الاجتماعية لسكان الأرياف التونسية حول جائحة كورونا أثناء الموجة الأولى التي امتدّت من مارس إلى سبتمبر 2020، وكيفية مقاومتها بالغذاء التقليديّ اليوميّ. وفيها تحليل لرؤية سكان الأرياف التونسية حول جائحة كورونا وتصوّراتهم وفهمهم لها، وكيفية مقاومتها بالغذاء التقليديّ، وهي تمثيلات قد يختلف مضمونها حسب الجندر والسّن والمستوى التعليميّ.

2.1. جائحة كورونا:

جائحة فيروس كورونا أو جائحة كوفيد-19، هي جائحة عالميّة كانت بدايتها في مدينة يوهان الصّينيّة في بداية شهر ديسمبر 2019، وهو فيروس مرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة. وفي 30 جانفي 2020 أعلنت منظمة الصحة العالميّة رسميًا حالة الطوارئ الصحيّة العامة، وأكّدت في 11 مارس 2020 تحوّل الفاشية[†] إلى جائحة وتعني انتشار الفيروس في عديد البلدان في قارات مختلفة وإصابته لأعداد كبيرة من السّكان. ويتركّب فيروس كورونا مخبريًا من غشاء بروتينيّ يغلف بداخله الحمض النوويّ الخاص بالفيروس RNA، ومثل بقية الفيروسات التّاجيّة يتكوّن الفيروس من أربعة أنواع من البروتينات تكوّن هيكل جسم الفيروس منها بروتين (S) الذي يشكّل التّواءات الشّوكيّة الموجودة على سطحه التي تمنحه شكله التّاجيّ (ملكاوي، 2020، صفحة 17). وتحدث العدوى بالفيروس نتيجة انتقاله من فرد إلى آخر عند المخالطة اللّصيقة، وخاصّة بواسطة الرّذاذ والقُطرات التنفسية التي تنتج عن السّعال أو العطاس أو التّحدّث، ويمكن أن تنتقل العدوى كذلك عن طريق لمس الأسطح الملوّثة بالرّذاذ والقُطرات التنفسية للمرضى. وتبلغ قابليّة العدوى ذروتها خلال الأيام الأولى بعد ظهور الأعراض. وقد ينتقل الفيروس من المصابين دون علامات ظاهرة. وتتمثّل الأعراض الأكثر شيوعًا في الحثّى والسّعال وضيق التنّفس والإعياء، وفقدان حاسّي الذّوق والشّم، وألم الحلق، والإسهال، والصّداع، واحتقان الأنف، والتهاب الملتحمة (ملكاوي، 2020، صفحة 19). وقد تتراوح المدة الزّمنيّة بين التّعرّض للفيروس وبداية ظهور الأعراض من يومين إلى أربعة عشر يوم. وتشمل التّوصيات الوقائيّة، غسل اليدين بالصّابون عديد المرات خلال اليوم، وارتداء الكمامات، والمحافظة على المسافة الكافية بين الأفراد، وعزل الأشخاص المصابين، وتطبيق الإغلاق العام المعروف باسم الحجر الصّحيّ العام، وإجراء الاختبارات للتّنبّه من الإصابة والتّقصي في محيط المرضى لاكتشاف مصدر العدوى أو انتشارها من المصاب. وترتّب عن الجائحة أضرار اقتصادية واجتماعيّة عالميّة جسيمة تسبّبت في ركود اقتصاديّ عالميّ كبير، فأجلّت بعض التّظاهرات الرياضيّة

[†] تزايد عدد المصابين بالفيروس في مجتمع معيّن أو منطقة جغرافيّة محدّدة عن العدد المتوقّع، ويمكن اعتبار حالة مرضيّة واحدة أو عدد قليل من الحالات فاشية.

والثقافية وألغي بعضها، وأغلقت المؤسسات التعليمية والجامعية ظرفياً، وتقلّصت الامدادات بمختلف السلع والبضائع وخاصة منها الغذائية والطبية المرتبطة بالجائحة نتيجة حدوث حالة من هلع الشراء تقلّصا كبيرا. وتعدّ جائحة كورونا أزمة القرن الواحد والعشرين دون منازع (المجلس الاقتصادي والاجتماعي الأردني، 2020، صفحة 7).

2. التمثل الاجتماعي لجائحة كورونا في الأرياف التونسية

1.2. جائحة كورونا ابتلاء من الله:

يعتقد أغلب سكان الأرياف التونسية أنّ جائحة كورونا هي ابتلاء من الله (براهمي، م.، مقابلة شخصية، 18 ماي 2020)، ليمتنح صبرهم. وهو تمثّل شعبي تقليدي بسيط لمختلف الجوائح والمحن التي عانى منها الإنسان في تونس وفي أغلب البلدان الأخرى إسلامية كانت أو غيرها، وينطوي هذا التمثل على قبول بالأمر الواقع دون هلع. فالجوائح والكوارث الطبيعية عامة تبيّن ذهنيات ساذجة، ذات إيمان شعبي، وهو إيمان عميق بالله وقضائه وقدره. ومن ملامحه الإكثار من الاستغفار والتوسّل والابتهال والتضرّع إلى الله بطلب اللطف بخلقه، وبرفع الوباء والبلاء عنهم، والتردّد على الزوايا وأضرحة الأولياء الصالحين، لطلب مساعدتهم والتوسّط لهم عند الله ليتخطّوا هذه الجائحة، وليقيم شرّها (سعيد، م. ع.، مقابلة شخصية، 3 نوفمبر 2020). فأملهم في الله وفي الأولياء الصالحين أمل لا يخيب لذلك فهم ليسوا مهتمّين كثيرا بما قد تأوّل إليه الأوضاع بسبب فيروس كورونا المستجدّ، وعليه، فهم لا يعلّقون الكثير من آمالهم على العلم والطب لاكتشاف لقاح أو دواء يقضي على الفيروس لأنّها يمكن أن تخيب، ولكن أملهم في الله والأولياء الصالحين لن يخيب. وللتدين الشعبيّ قوة رمزية وأخرى فعلية في المجتمعات الريفية، والحضرية وتحديدا في الأوساط الشعبية الفقيرة منها، إذ، يكون أكثر ترسخا، ويصعب أحيانا توجيهها والسيطرة عليها، حتى في أشدّ الظروف التي تهدّد المتدين نفسه، من ذلك مثلا ظروف انشمار فيروس كورونا المستجدّ، بل تزايد الاقبال على التدين الشعبيّ، ومرّد ذلك شعور المجتمعات الريفية أنّ الممارسات والطقوس الدينية الشعبية هي جزء من هويتهم التي لا يستغنون عنها (الأسدي، 2020). وتبيّننا من المقابلات التي أجريناها مع عديد المستجوبين من سكان الأرياف التونسية أنّ تمثّلهم الدينيّ الشعبيّ لجائحة كورونا مقنع في نظرهم وغير قابل للنقاش. فالدين الشعبيّ، إذن، مكوّن ثقافيّ روحيّ في المجتمعات الريفية، وبضطلع بدور رئيس في مواساتهم وفي خفض درجة التوتر والقلق، وتوفير الاطمئنان النفسّي الذي يحتاجونه. والتجانب زمن الجوائح إلى الممارسات والطقوس الدينية الشعبية ليس بالأمر المستجدّ وإنّما هو مرتبط بالإنسان منذ نشأته، ويكشف ضعفه وهله. ويُعزى تزايد شعبية التدين الشعبيّ وترسخه زمن الأزمات والجوائح ومنها جائحة كورونا إلى عوامل عدّة منها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وتتضمّن هذه

التمثلات الدينية الشعبية لجائحة كورونا بعض الرواسب التاريخية للتمثلات الشعبية للأوبئة في تونس، فذاكرة الأوبئة الجماعية تمثل جزءا من الذاكرة الجماعية للشعوب، وما زالت تحتفظ ببعض الرواسب القديمة في كيفية التعاطي مع الأمراض المعدية والجوائح، رغم أن الأوبئة التي كانت تفتك بأعداد هامة من السكان (ابن أبي الضياف، 1989، الصفحات 20-21، 165-167)، مثل السّل والكوليرا اختفت وأضحّت في طيّ النسيان والمسكوت عنه، وتوارت عن وعي المجتمع التونسي المعاصر، بفضل التحوّلات التي عرفها الطبّ واكتشاف التلقيح، ودور السياسة الصحية المتبعة من قبل الدولة الوطنية منذ الاستقلال وما أدّت إليه من انتشار لثقافة صحّية حديثة (Allagui, 2020, pp. 23-51). إنّ استحضر الرواسب القديمة المقترنة بالجوائح تُمكننا من التعرف على النمط الذهني الذي كان سائداً آنذاك، ما يسمح برصد جانب مهمّ من تاريخ الذهنيات أو العقليّات، فالجوائح وما ينجّر عنها من ارتفاع عدد الوفيات "ظلت تشكّل هاجسا، خلخل بنية الإنسان العقلية، فكان الاعتقاد في الخوارق والكرامات" (العرجاوي، 2020)، سبيلا لمواجهة.

وتفضل الإشارة إلى أنّ التمثّل الديني الشعبي الريفي لجائحة كورونا بكونها ابتلاء من الله تختلف عن التمثّل الديني الرسمي أو العالم للجائحة الذي يعتبرها غضبا إلهيا أو لعنة إلهية لانزياح الناس عن الدين، وهي أطروحة بل نظرية تقليدية في تحليل الجوائح والكوارث الطبيعية عامة. وتختصّ هذه النظرة التي تُنعت بنظرية الجائحة- اللعنة (الديالي، 2020)، ببعض السمات منها القدم والفاعلية، فهي قديمة قدم الإنسان ولا تزال فاعلة حتى أيامنا الرأهنة، ومنها عدم قابليتها للتفنيد وهي سمة تميّز كل النظريات غير العلمية من منظور فيلسوف العلوم كارل بوبر Karl Popper، لاستحالة البرهنة على خطئها (الفقرة 1). وبناء على هذا التمثّل الديني التقليدي لجائحة كورونا، فإنّ الحجر الصحي القائم على التباعد الاجتماعي ليس الحلّ المناسب لمواجهتها، بل الحلّ يكمن في العودة إلى الله والابتهال والاستغفار لنيل مرضاته ورحمته وعفوه. لذا، فالمجموعات المدافعة عن أطروحة الجائحة- اللعنة ترفض ما ترتّب عن الحجر الصحي من غلق للمساجد ومنع لصلاة الجماعة (الفقرة 1 و2)، وسندهم في ذلك: "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" (قرآن، التوبة، 51). ومثل هذا الرأي الذي يرى التّسليم إلى مجاري القدر، ومن المقدر لا يُغيى الحذر "تبتّاه العديد من الفقهاء وشيوخ الدّين من الأوبئة التي عرفها تونس في الفترة الحديثة ومنها على سبيل المثال الطّاعون الذي وقع بالحاضرة تونس بداية من أوت 1818 ودام نحو العامين، إذ، كانوا يرفضون الحجر الصحيّ المسّعى آنذاك بالكرنطينة La quarantaine بمعنى وضع المصاب في الحجز حتى لا تنتشر العدوى. وفي المقابل ثمة شقّ ثان من الفقهاء وشيوخ الدّين كانوا مع ضرورة حجز المصابين بالبواب (ابن أبي الضياف، 1989، الصفحات 166-167).

لكن ما يلفت الانتباه زمن استشرى فيروس كورونا المستجدّ في تونس وكذلك في أغلب بلدان العالم هو خفوت العقل الديني وتراجع، مقابل إعلاء قيمة العقل العلمي والطبيّ تحديداً، إذ، مُنحت الكلمة الأولى إلى الأطباء الذين يشكّلون الخطّ الأول في مواجهة فيروس كورونا المستجدّ. فمن أجل التوقّي من الفيروس اتّخذت السّلط القائمة في تونس وفي أغلب البلدان الإسلاميّة إجراءات كان من نتائجها انحسار الدّين في الفضاء العام نتيجة إغلاق المساجد وتعليق صلاة الجماعة وصلاة الجمعة وصلاة القيام في رمضان وصلاة العيدين، وإيقاف العمرة والحج إلى البقاع المقدّسة.

2.2. الأُمبالاة بفيروس كورونا المستجدّ والاستخفاف به:

وبناء على التّمثّلات الدّينيّة الشّعبية لسكان الأرياف التّونسيّة لجائحة كورونا، نتبيّن لامبالاتهم بالفيروس، وعدم اكتراثهم به. رغم ما تسبّب فيه من ذعر وخوف عالميين، نظرا إلى حركيته وحيويّته وسرعة انتشاره في مختلف بلدان العالم وخاصةً منها بلدان الشّمال، ما جعله يُعرف بالفيروس "المُعولم". ويتّسم هذا الفيروس بكونه من أعدل الفيروسات قسمة بين النّاس، إذ، لا يفاضل بين بني البشر، ولا يُميّز بين الميسورين والفقراء، وبين المؤمنين وغير المؤمنين، وبين الرّيفيّين والحضرّيين. وعليه، فهو، يهدّد حياة الجميع دون استثناء (أنوار، 2020). وبذلك يختلف عن عديد الفيروسات الأخرى التي تجد مرعتها الخصب في المجتمعات الفقيرة البائسة مثل الإيبولا والكوليرا والسّل وغيرها، وتقتل الآلاف منهم يوميّا، لكنّ المجتمع الدّولي لا يكتثّر لحال هذه المجتمعات الفقيرة، ولا يهتمّ بهذه الفيروسات لأنّها لا تُصيب الفئات الميسورة، ولا تعني بلدان الشّمال.

وتكشف لا مبالاة سكّان الأرياف التّونسيّة بفيروس كورونا المستجدّ أنّ الشّعور بالخوف منه، وإن كان انفعالا مشتركا بين أغلب سكّان العالم، فإنّه في الواقع يبقى تجربة ذاتيّة، تختلف من فرد إلى آخر، ومن فئة اجتماعيّة إلى أخرى، والاختلاف في الانفعال بين الأفراد والجماعات مرده الاختلاف في تمثّل الفيروس. فالأفراد المقتنعون بأنّ هذا الفيروس شديد الخطر ينتابهم الهلع والخوف الشّديدين كلّما تذكروا الفيروس، وفي المقابل الأفراد المستخفون به لا يشعرون بالخوف الشّديد، ما يُقلّص من حدّة ضغوطات الحياة اليوميّة عليهم، في ظروف الحضر الصّحي.

وتظهر لامبالاة سكّان الأرياف التّونسيّة واستخفافهم بجائحة كورونا في عدم تقيدهم بمختلف الإجراءات التي اتخذتها الحكومة لمكافحةها سواء أكانت متعلّقة بحظر الجولان أم بالحجر الصّحي الشّامل أو بالحجر الصّحيّ الموجّه. وهو ما تبيّنناه من ملاحظتنا المباشرة، ومن المقابلات التي أجريناها مع عديد المستجوبين. ومن ملامح لا مبالاة سكّان الأرياف ممارسة أنشطتهم اليوميّة المهنيّة والاجتماعيّة كما اعتادوا

في الفترة السابقة لانتشار الفيروس، فهم يلتقون يوميًا كالمعتاد بالقرب من الدكاكين وفي المقاهي التي ظل العديد منها مفتوحا رغم كونها معنّية بالغلاق، ويتصافحون بالأيدي وبالتقبيل، ويتسامرون ويتشرفون الشّاي وغالبا ما يكون من نفس الكؤوس التي يتناوبون عليها، لما للسّم من أهميّة في حياة أغلب ساكنة الرّيف. إضافة إلى مواصلة إنجاز مختلف الأعمال الفلاحية التي دأبوا عليها قبل إعلان السّلطة التّنفيذية عن بداية العمل بالحجر الصّحي الشّامل، نظرا إلى الحاجة إلى تأمين الغذاء لسكّان البلاد. واستمرّ حضورهم الجنازات وتعزيّتهم أهالي الميت بالتقبيل، ويُعدّ حضور الجنازات من الواجبات الملحة على سكّان الأرياف فهم يحرصون على ألا تفوتهم، ما يعني أنّ حضورهم يكون مكثّفا (عزري ب..، مقابلة شخصية، 17 فيفري 2021)، ما يتعارض والتّباعدا الاجتماعيّ الذي هو أسّ الحجر الصّحي والسياسات الصحيّة المتبّعة من قبل مختلف دول العالم. وما يزيد الأمر تعقيدا لدى أغلب سكّان الأرياف وتحديدًا منهم النّساء وكبار السّن أنّه لا مكان للافتراضي في حياتهم اليوميّة الذي بالإمكان الاستعاضة به عن التّقارب الاجتماعيّ كما يفعل غالبية سكّان المدن (زكّاع ، 2020). إذ، كشفت أزمة كورونا أهميّة الافتراضي في التّواصل الاجتماعيّ وفي الاقتصاد وفي أغلب مناحي الحياة اليوميّة. ولا يهتمّون كثيرا بغسل اليدين بالماء والصّابون، ولا يستعملون المعقمات، ويرفضون حمل الكمامات التي عدّت ضروريّة في فترة الحظر الصّحيّ الموجّه، ويسخرون من حاملها (الغضبان، ز.، مقابلة شخصية، 12 مارس 2011). فلا مبالاة سكّان الأرياف التّونسيّة بفيروس كورونا المستجدّ عمّفته ظروف أخرى من أهمّها الفقر والتّميش (Chékir, 2020, pp. 87-101)، والجهل بحقيقة هذا الفيروس. فالفقر الذي تعيشه أغلب العائلات الريفيّة، أجبّر النّسوة على الخروج إلى العمل في الحقول كما في سائر الأيّام السابقة لزمن كورونا، وبدو الاستخفاف بإجراءات التّباعدا الاجتماعيّ في نقلهنّ في شاحنات مكتظّة بهنّ، غير مؤهّلة أصلا لنقل الرّكاب (حامدي، ه.، مقابلة شخصية، 10 ديسمبر 2020). ويزداد وضع ساكنة الأرياف التّونسيّة سوءا إذا تعايش الفقر المدقع مع غياب البنى التّحتية اللّازمة والمرافق الصّوروريّة للعيش ومنها الماء الصّالح للشّراب. فالحديث عن النّظافة والمعقمات باعتبارها إجراءات أساسيّة للتّوقّي من فيروس كورونا المستجدّ، لا معنى له بالنّسبة إلى سكّان الأرياف الذين لا تتوفّر لهم المياه الصّالحة للشّرب (نصبي، م.، مقابلة شخصية، 7 مارس 2021). أمّا الجهل بحقيقة فيروس كوفيد - 19، واعتباره مجرد مرض كسائر الأمراض المعدية الأخرى فمردّه ضعف المستوى التعليمي للعديد من ساكنة الأرياف وتحديدًا منهم النّساء وكبار السّن الذين يمثّلون الأغلبية العددية، ما يجعلهم غير مدركين لحقيقة الأخطار التي يمكن أن تنجرّ عنه، ووهن السياسة الاتصاليّة للسّلطة في تونس التي يبدو في تقديرنا أنّها أخفقت في توعية السكّان وتحديدًا الفئات المهمّشة والمفقّرة واقناعهم بالحجر الصّحيّ وبضرورة البقاء في البيوت. فالتمّيش والإقصاء الذي يعاني منه أغلب سكّان

التريف وغياب التجهيزات الأساسية والمرافق الضرورية للعيش يجعلهم لا يحترمون الإجراءات الوقائية التي أعلنتها السلطة لمقاومة الفيروس.

إن إصرار أغلب سكان الأرياف التونسية على لا مبالاتهم بفيروس كورونا المستجد واستخفافهم به، ورفضهم التقيّد بإجراءات مقاومته، وأهمّها التباعد الاجتماعيّ، له أسباب عدّة منها، انخفاض نسبة المصابين منهم بالفيروس، وانعدام الوفيات في محيطهم العائليّ. واعتقادهم أنّهم بمنأى عن الإصابة به، لما تمتاز به أريافهم من نقاوة هواء، ومن تشتّت سكّانيّ، ما يجعلهم غير معنيين بإجراءات التباعد الاجتماعيّ المفروضة من قبل الحكومة. إذ، يرون أنّ حياتهم اليوميّة الاعتياديّة قائمة أصلا على التباعد الاجتماعيّ، وطبيعة نظامهم الغذائيّ القادر على تعزيز مناعتهم وعلى وقايتهم من الفيروسات ومنها الفيروس المستجدّ، وفي حالة الإصابة بها فإنّه يساهم في البُراء منها. وهذا ما سنسعى إلى تفصيله في المبحث الثّاني من موضوع دراستنا.

3. الغذاء للتداوي من فيروس كورونا المستجدّ والتّوقّي منه

يعتقد سكّان الأرياف التونسية أنّ نظامهم الغذائيّ اليوميّ، قادر على وقايتهم من الأمراض الفيروسيّة ومنها الفيروسات التي تُصيب الجهاز التنفّسيّ على غرار فيروس كوفيد-19، لدوره في تعزيز جهاز المناعة، وفي حالة الإصابة به فإنّه يساهم في الشّفاء منها. لما يمتاز به هذا الغذاء من خصائص عدّة، ومنها: كثرة الأفاويه والمهارات التي تقاوم فيروسات الجهاز التنفّسيّ وأهمّها الثّوم والفلفل الحرّيف، والحضور المكثّف لزيت الزّيتون، وهيمنة الأغذية المشتقّة من الحبوب، والخضروات والأغذية البيولوجيّة، والإنضاج الجيد للأغذية المطبوخة.

1.3. الإكثار من استهلاك الأفاويه والمهارات المقاومة لفيروسات الجهاز التنفّسيّ:

تُعدّ الأفاويه والمهارات من أهمّ العناصر الغذائيّة التي يعتمدها سكّان البلاد التونسية في مقاومة عديد الفيروسات، والأمراض التي تصيب الجهاز الهضمي والجهاز التنفّسي مثل مختلف فيروسات نزلات البرد والزّكام ومنها فيروس كورونا المستجدّ، وأهمّها الثّوم والفلفل الحرّيف بمختلف أنواعه.

يستخدم الثّوم بهارا أو أفاويه في الأطعمة ذات المذاق المالح لنكهته اللّاذعة والحارّة، ويُستخدم كذلك لأغراض طبّيّة، ما نجد له صدى في عديد المصنّفات منذ القديم منها على سبيل الدّكر كتاب التاريخ الطّبيعي لبليبيديوس الأكبر Pline l'ancien. وجالينوس Claude Galien الذي وصف الثّوم بأنّه "ترياق ريفيّ" (ويكبيديا) لتعدّد استعماله الصّحيّة. وتُعدّ الثّوم مضادا حيويًا طبيعيًا وغذاء غنيًا بالفيتامين ج

c. يسهم في تحفيز مناعة الجسم لمقاومة العدوى الفيروسية بصفة عامة. وهو من أكثر الأفاويه التي تزايد الإقبال على استهلاكها من قبل مختلف شرائح المجتمع التونسي وخاصة الفئات الشعبية في المدن والأرياف ما ترتب عنه تضاعف أسعار الثوم أكثر من 3 مرات زمن الكورونا. وقد أوضح لنا عديد المستجوبين الذين أجرينا معهم المقابلات أنهم في زمن انتشار فيروس كورونا المستجد زادوا في كمية الثوم التي يضيفونها بهارات لمختلف الأطعمة المألحة، وأكد أغلبهم أنهم غيروا طريقه استعمالهم للثوم، فقد كانوا يقلون في الزيت في بداية طبخ الأطعمة، لكن مع انتشار فيروس كورونا أصبحوا يضيفون الثوم إلى الطعام قبل بضعة ثوان من نضجه، حتى لا يُطبخ جيداً لكي لا يفقد الكثير من قدرته على مقاومة الفيروسات، لأن الثوم النيء أو قليل النضج أكثر فعالية في مقاومة الفيروسات من الثوم المقلي أو المطبوخ جيداً (ورغي، س.، مقابلة شخصية، 3 نوفمبر 2020). وتفضل الإشارة في هذا السياق إلى ما تناقلته عديد التقارير الصحفية[‡] ومواقع التواصل الاجتماعي عن الإقبال الجماهيري على محلّ مختصّ في تقديم أكلة شعبية تسمى "صحفة ثوم" بنهج مرسليليا بتونس العاصمة لاعتقادهم بقدرتها على الوقاية من فيروس كورونا المستجد. وهو طبق يتكوّن من ثوم مهروس وزيت الزيتون وبيض مسلوق وتونة و"هريسة" تونسية حارة وسلطة مشوية وزيتون وأجبان. ويؤكد صاحب المحل أنّ انتشار فيروس كورونا المستجد بالبلاد التونسية زاد كثيرا في عدد حرفائه. ويُعزى الإقبال الكبير على "صحفة الثوم" لاحتواء مكوناتها عديد العناصر التي تقي من الزكام ونزلات البرد وهي ثوم وهريسة حارة ولفل أخضر مشويّ حار وزيت زيتون. وإلى جانب استخداماته أفاويه و بهارات للثوم كذلك استخدامات طبية شعبية منها تناوله وحده بمعدل فصّ أو فصين مرتين في اليوم صباحا ومساء، أو نقعه في الزيت ثم شربه، أو أكل الثوم وشرب زيت الزيتون بعده. أو قلي الكثير من الثوم في الزيت قليلا خفيفا مع بيضة دجاج "عزبي" والكثير من مسحوق الفلفل الأسود (الأشهب، ز.، مقابلة شخصية، 3 نوفمبر 2020).

أمّا الإقبال على الحريف فيظهر في استهلاك مختلف أنواع الفلفل من أسود وأخضر وأحمر مجفقا مقطعا إلى قطع صغيرة، أو مسحوقا يعرف بلفل "زبنة" أو فلفل "زينة"، وأحيانا في شكل حبات، و"الهريسة" المشتقة من الفلفل الأحمر الحار سواء أكان طازجا أم مجفقا (الأحول، ب.، مقابلة شخصية،

[‡] - نذكر من هذه التقارير على سبيل المثال: "صحفة الثوم" الطبق التونسي... للوقاية من كورونا"، في مجلة عرب 48، الصّادر بتاريخ 12-03-2020. <https://www.arab48.12/03/2020/>

و"في زمن الكورونا".."صحفة الثوم" ملاذ التونسيين"، نشر وكالة الأناضول بتاريخ 12-03-2020،

<https://www.aa.com.tr/ar/1763122>

وتداولت نفس التقرير العديد من وسائل الإعلام الأخرى التي أدخلت بعض التعديلات على عنوانه ومنها صحيفة العرب عدد 11645، بتاريخ 13-03-2020؛ ولبنان الجديد بتاريخ 14-03-2020.

1 ديسمبر 2020) وهي من الموروثات الغذائية التي تُشتهر بها البلاد التونسية (الجرد الوطني للتراث الثقافي اللامادي)، أكلة يُتأدّم بها بعد خلطها بزيت الزيتون أو تُضاف كأفوايه لأغلب المأكولات اليومية ذات المذاق المالح. وتتكوّن "الهريسة" التونسية من معجون الفلفل الحار والثوم والملح والتوابل وزيت الزيتون، و"الهريسة" نكهتها التي تُعدّ من العلامات المانزة للمطبخ التونسي، وتمتاز بتعدد فوائدها الصحية. ويُقبل التونسيون عامةً وتحديدًا منهم سكان القرى والأرياف على تناول الحرائف في أغذيتهم المألوفة في مختلف الفصول وخاصةً في الشتاء لتوقّر إنتاجها في أغلب جهات البلاد التونسية، لما لها من دور في التوقّي من مختلف الفيروسات التي تُصيب الجهاز التنفسي ومقاومتها والمساعدة على الشفاء منها، وخاصةً منها الزكام ونزلات البرد التي تكثُر الإصابة بها في الفصل البارد، ومنها فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19). ولذلك أكثر التونسيون من تناول الفلفل الحريف زمن انتشار كورونا المستجد للوقاية منها. ومن المأكولات التقليدية الشعبية التي تعتمد "الهريسة" مكونًا أساسيًا "اللّبلابي" الذي يتكوّن من حمص مسلوّق مخلوط بقطع صغيرة من الخبز والهريسة والأفوايه والملح وزيت الزيتون مع مكانية إضافة بيضة والقليل من التونة. وهو من الأغذية التي يتزايد علمها الإقبال شتاءً وخاصةً زمن انتشار الكورونا، وإن كان سكان الأرياف يطبخونها في مطبخهم الخاصّ، فإنّه في المدن توقّر محلاتّ مختصة في "اللّبلابي" أو الوجبات السريعة. ويسهم "اللّبلابي" في ارتفاع حرارة الجسم ما يجعله مقاوم لبرودة الطّقس، ويقوّي جهاز المناعة لتوفيره العديد من الحريات التي تبعث النّشاط في مستهلكها (علواني، ج.. مقابلة شخصية، 1 ديسمبر 2020). ما كشفته عديد التقارير الصحفية منها على سبيل المثال "اللّبلابي... زاد الشتاء في تونس" (لطيفي، 2018). ويذهب صاحبها كتاب أنثروبولوجيا العادات الغذائية (Farb & Armelagos, 1955, pp. 198-199) إلى أنّ الفلفل الحريف بأنواعه هو أكثر الأفوايه استعمالًا في مجتمعات الجنوب لأنّه يزيد في تقوية الشهية، إذ، يجعل الأكل البسيط الذي يفتقد إلى اللحم والخضر قابل للتناول. وأكّدا أنّه من أكثر الأفوايه المنتشرة في بلدان الجنوب، وله مزايا عديدة، فهو يخفّض حرارة الجسم لاحتوائه على مادّة الكابسين التي تزيد في تحرق الجسم، ويهطّر الطّعام، فيساهم في حفظه من الجراثيم ويمنع الحشرات من الاقتراب منه، كما يساعد على هضم النشويات التي تمثّل إحدى المركبات الأساسية للأغذية التي يكثر استهلاكها في المجتمعات الفقيرة بصفة عامة، بما في ذلك أغلبية سكان القرى (الدّباي الميساوي، 1996، الصفحات 37-38) والأرياف التونسية (براهي ع، 2015، صفحة 82).

يُصنّف سكان الأرياف التونسية الأغذية السائلة "الجارية" المشتقة من الحبوب، التي تحتوي على الكثير من الخضروات والسّمك أو لحم الدّجاج "العربي" وعلى كميات هامة من الأفوايه وتحديدًا منها الثوم والفلفل الحريف والهريسة ضمن الأغذية الصحية التي تساعدهم في الشفاء من مختلف الأمراض الفيروسية التي تُصيب الجهاز التنفسيّ ومنها الزكام ومختلف أنواع الأنفلونزا ونزلات البرد، بما في ذلك

فيروس كورونا المستجد، ومنها، "المقرونة الجارية" أو "المحمّصة الجارية" وأهمّها "الدشيشة" من القمح وتحديدا من الشّعير (ضاوي، ف.، مقابلة شخصية، 15 فيفري 2021).

2.3. الإقبال على استهلاك زيت الرّيتون، والأغذية المشتقة من الحبوب:

- استهلاك زيت الرّيتون

يكون زيت الرّيتون الأساس الثّاني الذي يقوم عليه مثلث الأغذية لدى شعوب المتوسط. وهو من العناصر الحاضرة بكثافة في غذاء التّونسيين وتحديدا منهم سكّان الرّيف والقرى حيث يملك أغلبهم أشجار الرّيتون. ويستعمل زيت الرّيتون غذاء ودواء نظرا إلى فوائده الصّحيّة الجمة، وأهمّها ما تعلق بالجهاز التّنفسيّ مثل الرّكام ومختلف نزلات البرد والسعال وضيق التّنفس والتهاجات الحلق وغيرها، ويستهلك الرّيت نينا ومطبوخا في مختلف الأغذية. ويجمع المستجوبين كلّهم على أنّ فوائده نينا أكثر منه مطبوخا. ويستهلك زيت الرّيتون نينا في فطور الصّباح، وفي بعض الأكلات الأخرى التي غالبا ما تكون مصاحبة للطّبق الرّئيسيّ لوجبة الغداء أو العشاء. فحضور زيت الرّيتون في فطور الصّباح للتأدّم به، إذ، يُغمس فيه الخبز أو الكسرة، ويمكن خلط زيت الرّيتون بمعجون الغلال، أو بالعسل، أو بحلوى "الشّامية"، أو بالتمر. وبه تُخلط "البسيصة" التي يكثر استهلاكها في وجبة الفطور، أو يُضاف إليها إن كانت "بسيصة" سائلة "زويّة". أمّا الأكلات التي تكون مصاحبة للطّبق الرّئيسي غداء أو عشاء وتعتمد زيت الرّيتون نينا فتشمل السّلطة بمختلف أصنافها و"الهريسة".

أمّا عن كفيّة استخداماته العلاجيّة المتعلّقة بنزلات البرد والرّكام ومختلف الفيروسات التي تُصيب الجهاز التّنفسيّ ومنها فيروس كورونا المستجد، فيشرب صباحا على الرّيق، وأثناء اللّيل مباشرة قبل النّوم، كما يمكن مزجه بالعسل أو بالقليل من عصير الليمون أو الاثنين معا، وبالإمكان نقع فصوص من الثّوم في زيت الرّيتون ثمّ شربه، ويستعمل لتدليك الفص الصّدريّ لما له من دور في التّخفيف من علاج السعال الجاف لمساهمته في تنشيط الجهاز التّنفسيّ حتّى يتخلّص من إفرازات "البلغم" فتترطب القصبات الهوائية (محجوبي، ل.، مقابلة شخصية، 6 جانفي 2021). وأكّد لنا عديد المستجوبين في إطار ما قمنا به من عمل ميدانيّ أنّهم يستهلكون زيت الرّيتون يوميا، وأنهم واثقون من فوائده الصّحيّة الكثيرة وأهمّها مكافحته الفيروسات التي تُصيب الجهاز التّنفسيّ ومنها فيروس كورونا المستجد. ويستمدّ زيت الرّيتون جانبا من أهمّيته الدوائيّة والصّحيّة عامة من قداسته إذ، يرمز بلونه الأصفر إلى النور والبركة، ما تكشفه بعض الآيات القرآنيّة منها: "اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الرَّجَاةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ

وَلَوْ لَمْ تَمَسُّهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (قرآن، النور، 35) ويرمز كذلك إلى القوة (Toussaint-Samat, 1989, p. 168)، وهي صفة تنقل إلى الفرد عندما يتناول أيّ غذاء ممزوج بالزيت أو يشرب الزيت أو يغمس فيه الكسرة أو الخبز (الدبابي الميساوي، 1996، صفحة 18).

- الإقبال على استهلاك الأغذية المشتقة من الحبوب

الحبوب وخاصة القمح عنصر ثابت في غذاء سكان البلاد التونسية وبلدان المغرب وسائر البلدان المتوسطية. فالقرطاجيون مثلا كانوا يُصنّفون ضمن آكلي القمح (Spano Giammellaro, 1996, p. 93). فالحبوب ركن أساسي في مثلث غذاء شعوب المتوسط منذ القديم إلى جانب زيت الزيتون والخبز. ويعتقد سكان الزيف التونسي أنّ الأغذية المشتقة من الحبوب وتحديدًا منها القمح الصلب والشعير تقيهم عديد الأمراض لأنها تساهم في تقوية المناعة لديهم، ما يمكنهم من مقاومة فيروس كورونا المستجد. ومن أهم الأغذية المشتقة من القمح الصلب الكسكسي والكسرة (براهمي ع.، الغذاء واللباس في برّ الهامة، الهيرشيرة والمكناسي نموذجًا: دراسة لإنشاء جناح اتنولوجي لمشروع متحف بسيدي بوزيد (رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، جامعة منوبة، 2006، الصفحات 72-73، 76-77).

وهي من أكثر الأكلات تجذرا في البلاد التونسية وتداولها لدى ساكنة الزيف (Valensi, 1977, p. 242). وتتعدد الأغذية المشتقة من الشعير ومن أهمها كسرة الشعير والملثوث أو "بودشيشن" ⁵، و"الدشيشة" التي تُعرف كذلك بشربة الشعير. وتوقّر هذه الحبوب الألياف الطبيعية والفيتامينات والبروتينات ومضادات الأكسدة والمعادن، التي يحتاجها جسم الإنسان، ويُعدّ الشعير من أهم أصناف الحبوب التي تعزّز مناعة الجسم وتقويها وتساعد على حمايته من أمراض مثل نزلات البرد والأنفلونزا. وترمز الحبوب إلى الحياة التي تُبعث من الموت وتُخصب (الدبابي الميساوي، 1996، صفحة 16).

⁵ المثلثوث: يُنضج في الكسكاس بواسطة البخار، لكنّ طريقة طبخه تختلف بعض الشيء عن الكسكسي، لأنّه لا يتطلب "كسكسة" وإنما يتكوّن من دشيشة الشعير، في البداية "يُفوّر" في الكسكاس فوق قدر يحتوي ماء فقط، ثم يعاد انضاجه بالبخار مرة أخرى عند طبخ مرق المثلثوث الذي لا يختلف في شيء عن مرق الكسكسي. أنظر، (براهمي ع.، الغذاء واللباس في برّ الهامة، الهيرشيرة والمكناسي نموذجًا: دراسة لإنشاء جناح اتنولوجي لمشروع متحف بسيدي بوزيد (رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، جامعة منوبة، 2006، صفحة 73)

2.3. الحرص على تناول الخضروات والأغذية الطبيعيّة / البيولوجيّة، والإنضاج الجيّد لمختلف الأطعمة المطبوخة:

- الحرص على تناول الخضروات والأغذية الطبيعيّة / البيولوجيّة

ما زالت للخضروات مكانة هامة في غذاء التونسيين وتحديدا منهم الريفيين والفئات الشعبيّة عامة. ومن الأطعمة اليوميّة المتداولة التي تمثّل الخضّر والأعشاب أساسها نذكر على سبيل المثال السلطة *Les salades*، وأنواع من الكسكسي والمقرونة، و"البرودو" (صالحي، ث..، مقابلة شخصيّة، 25 فيفري 2021). فبالنسبة إلى السلطة يُقبل سكّان الأرياف على استهلاك السلطة الخضراء والسلطة المشويّة. وإن تتكوّن السلطة الخضراء من الخضّر الطّازجة وأهمّها البصل والفلفل الأخضر الحار والطّماطم والقليل من زيت الزّيتون ومن عصير الليمون ومسحوق الفلفل الأسود. فإنّ السلطة المشويّة تتكوّن من الطّماطم المشويّة وخاصة الفلفل الحار المشويّ والكثير من زيت الزّيتون والثّوم. أما أنواع الكسكسي التي يغلب على مرقه الأعشاب، فهي الكسكسي ب"الحارة" *Diplotaxis harra* أو الجرجير، وهي من الأعشاب البريّة التي يُقبل سكّان الأرياف والقرى التّونسيّة على تناولها لكونها من الأغذية البيولوجيّة ولكثرة فوائدها الصّحيّة، والكسكسي ب"المُرشّان" وهي أوراق اللّفت الغضّبة. ومن الأغذية الأخرى التي تمثّل الخضّر أساسها نذكر المقرونة الجارية ب"الخضرة"، و"البرودو" وهو طعام يُطبخ من خضّر متنوّعة مسلوقة في الماء وقليل من الزّيت والأفاويه واللّحم وينتمي إلى الأطعمة ذات القيمة الغذائيّة العالية، وغالبا ما يُقدّم للمرضى قصد استرجاع عافيتهم (صالحي، ث..، مقابلة شخصيّة، 25 فيفري 2021). ويعتقد سكّان الأرياف التّونسيّة والفئات الشعبيّة عامة أنّ مكوّنات هذه الأغذية المتمثّلة في الخضّر الورقيّة والأعشاب البريّة والفلفل الحار بنوعيه الأسود والأخضر والبصل والثّوم والزّيت والليمون تحافظ على صحّة الجسم وتقوّي الجهاز المناعيّ، وتحدّ من الإصابة بنزلات البرد والأنفلونزا بما في ذلك فيروس كورونا المستجدّ. والأمراض المناعيّة الأخرى، وبإمكانها المساعدة في الشّفاء منها. وتُميّز الأطعمة التي تعتمد الخضّر والأعشاب بصفة عامّة غذاء شعوب بلاد المغرب ومختلف شعوب المتوسّط (Gobert , 1940, p. 192). وهي بذلك تمثّل جزءا من هويّتهم (براهمي ع..، 2015، صفحة 82).

وإلى جانب الأعشاب البريّة يتفرّد غذاء سكّان الأرياف التّونسيّة عن المدن بعدّة منتجات طبيعيّة أخرى بإمكانها مساعدتهم في تعزيز جهاز المناعة لديهم، منها بيض الدّجاج "العزّي" ولحمه (النوري، ب..،

** السلطة: أصل التسمية Salata من اللغة الإيطالية، وهي من أهمّ ثيمات المطبخ الإيطالي الحديث. وانتشرت في البلدان العربيّة المتوسّطيّة منذ القرن الثامن عشر، وتوسّع استهلاكها منذ الفترة الاستعماريّة (براهمي ع..، 2015، صفحة 77).

مقابلة شخصية، 10 أكتوبر 2020)، وأهمها الحليب الطّازج ومختلف مشتقاته، الذي يُعدّ الغذاء الأوّل الذي يحتوي كلّ الأغذية الأخرى (Durand , 1992, pp. 294-295). ويرمز إلى الغذاء الوحيد الذي يحتاجه الإنسان والحيوان خلال المرحلة الأولى من حياته، ولذلك فهو غذاء متكامل يحتوي على البروتينات والدهنيّات والسكريّات الفيتامينات وغيرها (براهمي ع.، 2015، صفحة 84). وفي سياق الحديث عن الأغذية الطّازجة، تفضل الإشارة إلى حرص السّكان على تجنب استهلاك الأغذية المتعقّنة، لما يمكن أن تتسبّب فيه من أمراض بما فيها الأمراض الفيروسيّة والجراثيميّة، نظرا إلى إمكانيّة انتقالها من الأطعمة العفنة إلى الإنسان، وخاصة منها الأطعمة الحيوانيّة.

- الإنضاج الجيّد لمختلف الأطعمة المطبوخة

تنوّع الأغذية وتختلف باختلاف الشّعوب والثّقافات، وقد جعلها الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي ستروس Lévi-Strauss K. في مثلث يتكوّن من النّيء والمطبوخ والعفن (Lévi-Strauss , 1968, pp. 411-93). ويُعدّ المثلث المطبّخي هذا "مرجعا أساسيا لكلّ الدراسات التي تهتمّ بظاهرة الطّبخ، وفتح مجالا خصبا لتفهمّ الظاهرة الغذائيّة وأبعادها الأنثروبولوجية ومنزلتها في المعاش اليومي للجماعات" (براهمي ع.، 2015، صفحة 76). ووفق هذا التّصنيف بالإمكان وضع طبخ كلّ ثقافة من الثّقافات في هذا المثلث. أمّا المطبوخ فقد فرّعه كلود ليفي ستروس إلى ثلاثة مستويات وهي: المطبوخ قليلا والمطبوخ والمطبوخ جيّدا. وتنتمي الأطعمة المطبوخة لسكّان البلاد التّونسيّة، وتحديدًا منهم الرّيفيين إلى الأغذية المطبوخة جيّدًا، سواء أكانت مطبوخة بواسطة البخار أم السّلق أو النّيء أو القلي أو الصّلي، ما يسهم في القضاء على الجراثيم والفيروسات التي قد تحتويها اللّحوم والأسماك والخضر. ويميل الرّيفيون التّونسيّون إلى المبالغة في إنضاج أطعمتهم ما يجعلها تنتمي إلى فئة أقصى المطبوخ جيّدًا، الذي يُعرف كذلك بمطبوخ المطبوخ Le cuit de cuit، حتّى تهرأ الخضر واللّحوم والأسماك عند سلقها، فتفتتت، أمّا اللّحوم والأسماك فتصهّد بالنّار عند صليها أو شمّها، وتجفّ عند قليها. وإلى جانب القضاء على الجراثيم والطّفيليات والبكتيريا التي قد تحتويها الخضر وخاصّة الأسماك واللّحوم البيضاء والحمراء ثمة رغبة لا واعية في "تغييب الدّم المقدّس الذي يدنس الإنسان إذا التهمه فالنّار تطهّر ما يمكن أن يكون رجسا وتُصيّر دماء اللّحوم والطّيور الحمراء ودكا يقرب إلى الغبرة" (الدّبابي الميساوي، 1996، صفحة 32).

خاتمة:

بعد إيماننا لهذا البحث نرى من الأهمية تعديد بعض النتائج التي نستعرضها على النحو الآتي:
- تتقاطع التمثّلات الاجتماعية لسكان الأرياف التّونسيّة حول جائحة كورونا في الاعتقاد في كونها ابتلاء من الله، واللامبالاة بالفيروس والاستخفاف به. ففي ما يتعلّق بالجائحة ابتلاء، يعتقد أغلب سكان الأرياف التّونسيّة وخاصّة منهم المنتمين إلى الفئات الشّعبية من كبار السنّ أنّ فيروس كورونا المستجدّ هو ابتلاء من الله ليمتحن صبرهم، وهو في الأصل تمثّل شعبيّ تقليديّ بسيط، غالبا ما يكون متداولاً زمن الجوائح والأوبئة والأزمات في الأوساط الشّعبية في مختلف الفترات التاريخية. وينجرّ عن هذه التمثّلات التقرب من الله والأولياء الصّالحين والتضرّع إليهم طلبا رفع الوباء وحمايتهم. وتتضمن هذه التمثّلات روااسب قديمة في كيفية التعاطي مع الجوائح والأوبئة، تكشف النمط الذهنيّ الذي كان سائداً آنذاك، ما يسمح برصد جانب مهمّ من تكوّن الوعي الجمعيّ. أمّا لامبالاة سكان الأرياف التّونسيّة بفيروس كورونا المستجدّ والاستخفاف به، فعائدة إلى اعتقادهم أنّه ابتلاء من الله، ولا مهرب لهم من ذلك. وهذا السلوك يؤدّي إلى ارتفاع عدد المصابين من جهة، ويقلّص من حدّة الضّغوطات النفسية اليومية لأغلب سكان الأرياف من جهة أخرى. وتظهر اللامبالاة في عدم الالتزام بالإجراءات التي اتخذتها السلطة المتمثلة في التّباعد الاجتماعيّ والحجر الصّحيّ وحظر الجولان، وفي قلة استعمال المعقّمات ورفض وضع الكمامات. ويمكن تفسير جانب من هذه اللامبالاة بانتشار الفقر والتمهيش، وبالجهل بالفيروس ودرجة الخطورة التي يمثّلها. فالفقر والتمهيش جعلاً أغلب سكان الرّيف يحرصون على مزاولة أعمالهم اليومية لتوفير حاجياتهم الضّروية، أمّا الجهل بالفيروس فعائد إلى ضعف المستوى التعليميّ للعديد من ساكنة الأرياف وتحديدا منهم النّساء وكبار السنّ، ما يجعلهم غير مدركين لحقيقة الأخطار التي يمكن أن تنجرّ عنه، وإلى وهن السّياسة الاتصاليّة للحكومة.

- حرص أغلبية سكان الأرياف التّونسيّة أثناء الموجة الأولى من انتشار فيروس كورونا بالتّداوي والتّوقّي منها بالغذاء التقليديّ، خاصّة وأنّ أجديتهم التّقليديّة قادرة على حمايتهم من الأمراض الفيروسيّة ومنها الفيروسات التي تُصيب الجهاز التنفسيّ على غرار فيروس كوفيد-19، لدورها في تعزيز جهاز المناعة، وفي حالة الإصابة به فإنّها تسهم في الشّفاء منه، ومنها: الإكثار من استهلاك الأفاويه والبهارات التي تقاوم فيروسات الجهاز التنفسيّ وأهمّها الثّوم والفلفل الحريّف، والاكثار من تناول الأغذية المشتقة من الحبوب، وزيت الرّيتون، والخضروات والأغذية البيولوجية، والحرص على الإنضاج الجيّد لمختلف الأطعمة المطبوخة.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد ابن أبي الضياف. (1989). *إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان* (الإصدار 2، المجلد 3). تونس: الدار التونسية للنشر.
- الجرد الوطني للتراث الثقافي للأمازيغ. (بلا تاريخ). البريسة: المعارف والمهارات والممارسات الغذائية والاجتماعية. (بطاقة جرد عنصر رقم 4/015). (المعهد الوطني للتراث بتونس، المحرر) تونس.
- المجلس الاقتصادي والاجتماعي الأردني. (2020). *أثر جائحة كورونا في مجالات الصحة والعنف الأسري والاقتصاد في الأردن بحسب النوع الاجتماعي*. عمان، المملكة الهاشمية الأردنية.
- أنور حسن الأسدي. (7 أبريل 2020). *التدين الشعبي وأزمة كورونا*. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المحرر) تاريخ الاسترداد 17 11 2021، من <https://www.mominoun.com/articles-7072>
- بشرى زكاع . (28 مارس 2020). *الاجتماعي والشبكي زمن الكورونا: حين تتحول الأجساد إلى شبكات افتراضية للوباء*. (مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المحرر) تاريخ الاسترداد 12 11 2021، من <http://www.mominoun.com/articles-7076>
- حمادي أنوار. (24 مارس 2020). *الإنسان في زمن كورونا: تأملات في المرض والموت والدين* (مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المحرر) تاريخ الاسترداد 13 مارس 2021، من <https://www.mominoun.com/articles-7072>
- حنان عيسى ملكاوي. (يونيو 2020). *تداعيات جائحة كورونا المستجد على الأمن الصحي العربي*. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المحرر) *جائحة كورونا وتداعياتها على أهداف التنمية المستدامة 2030*، *نشرية متخصصة* (2)، صفحة 59.
- سهام الدبابي الميساوي. (1996). *الطبخ التونسي*. تأليف الشرفي عبد المجيد (إشراف)، *ظواهر حضارية من تونس في القرن العشرين* (صفحة 479). منوبة.
- عبد الصمد الديالي. (13 أبريل 2020). *سوسيولوجيا جائحة كورونا*. (مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المحرر) تاريخ الاسترداد 13 03 2021، من <https://www.mominoun.com/articles-7090>

عبد الكريم براهمي. (2006). *الغذاء واللباس في برّ الهمامة، الهيشيرية والمكناسي نموذجاً: دراسة لإنشاء جناح اتنولوجي لمشروع متحف بسيدي بوزيد (رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، جامعة منوبة. منوبة.*

عبد الكريم براهمي. (ربيع، 2015). مائدة الفقراء في برّ الهمامة خلال النصف الأوّل من القرن العشرين، جدليّة الخصب والجذب: مقارنة اتنوبولوجيّة. (الثقافة الشعبيّة للدراسات والبحوث والنشر، المحرر) *الثقافة الشعبيّة (29)*، الصفحات 76-93.

كريم العرجاوي. (1 ماي، 2020). ذهنيات التعليل الغيبي للجوائح في تاريخ المغرب. *القدس العربي*.

ماهر حنين. (2020). *سوسيولوجيا الهمامش في زمن الكورونا الخوف - الهشاشة - الانتظارات*. (المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، المحرر)

محمد علي لطيفي. (2018). *الليلابي... زاد الشتاء في تونس. الجزيرة نت. تاريخ الاسترداد 12 12, 2020*، من <https://www.aljazeera.net/news/lifestyle/2018/12/18/>

ويكيبيديا. (بلا تاريخ). *ثوم*. تاريخ الاسترداد 10 11, 2020، من <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AB%D9%88%D9%85>

Abric, J.-C. (2005). La recherche du noyau central et de la zone muette des représentations sociales. Dans J.-C. Abric, *Méthodes d'étude des représentations sociales* (p. 296). Toulouse: Érès.

Allagui, A. (2020). Une brève histoire des épidémies en Tunisie . Dans H. Redissi, *La Tunisie à l'épreuve du Covid-19* (p. 247). Tunis.

Bergamaschi , A. (2011). Attitudes et représentations sociales. *Revue Européenne des Sciences Sociales*.

Chékir, H. (2020). Covid-19 : Incertitude et dilemmes pour les catégories sociales les moins aisées . Dans H. Redissi, *La Tunisie à l'épreuve du Covid-19* (p. 247). Tunis.

Durand , G. (1992). *Structures anthropologiques de l'imaginaire* . Paris: Dunot.

- Farb , p., & Armelagos, G. (1955). *Anthropologie des coutumes alimentaires*. Paris: Denoël.
- Geertz, C. (1998). La description dense: vers une théorie interprétative de la culture. *Eenquete*(6), pp. 73-105.
- Geertz, C. (2002). *Savoir local, savoir global: Les lieux du savoir* (éd. 3^{ème} éditions). Paris: PUF.
- Gobert , E. G. (1940). *Usages et rites alimentaires des Tunisiens ; leur aspect domestique, physique et social*. Tunis .
- Jodelet, D. (1989). Représentations sociales: un domaine en expansion. Dans D. Jodelet, *Les représentations sociales* (pp. 31-61). Paris: PUF.
- Lévi-Strauss , K. (1968). *L'origine des manières de table* . Paris: Librairie Plon.
- Spano Giammellaro, A. (1996). Les phéniciens et les Carthaginois. Dans J. L. Flandrin, & M. Montanari, *Histoire de l'Alimentation*,. Paris: Fayard.
- Toussaint-Samat , M. (1989). *Histoire naturelle et morale de la nourriture*. Paris: Bordas.
- Valensi , L. (1977). *Fellahs Tunisiens: L'économie rurale et la vie des compagnes aux 18^{ème} et 19^{ème} siècles*. Paris, Lahaye: Mouton.